اسبانيا

تقع إسبانيا في جنوب غرب أوروبا وتشكل نحو 84 بالمئة من شبه الجزيرة الأيبيرية. تبلغ مساحتها الكلية 504،782 كم2 (194،897 ميل مربع) منها 499،542 كم2 (192،874 ميل مربع) يابسة و 5،240 كم2 (2،023 ميل مربع) من المياه. توجد إسبانيا بين خطي عرض 26° و44° وبخطي طول 19° غربًا و5° شرقًا. ساحلها على المحيط الأطلسي طوله 710 كم (441 ميل). تمتد سلسلة جبال البرانس 435 كم (270 ميل) من البحر الأبيض المتوسط إلى خليج بسكاي. في أقصى الجنوب من إسبانيا يقع مضيق جبل طارق، الذي يفصل إسبانيا عن باقي أوروبا من المغرب في شمال أفريقيا؛ وفي أضيق نطاق، تفصل إسبانيا والمغرب فقط 13 كم (8.1 ميل).

قبالة شبه الجزيرة الأيبيرية هناك العديد من المناطق الإسبانية الأخرى: جزر البليار في البحر الأبيض المتوسط، جزر الكناري من الجنوب والغرب، 108 كم (67 ميل) قبالة شمال غرب أفريقيا، وخمسة مواقع سيادية (بلاثاس دي سوبيرانیا) على قبالة ساحل المغرب: سبتة، مليلية، جزر إشفارن، صخرة الحسيمة، وجزيرة قميرة.

معظم الحدود في إسبانيا هي مياه: البحر الأبيض اللمتوسط في الجنوب والشرق من جبل طارق إلى الحدود الفرنسية والمحيط الأطلسي في الشمال الغربي والجنوب الغربي (في الجنوب يقع خليج قادش وفي الشمال وخليج بسكاي). يوج لدى إسبانيا حدود برية مع فرنسا وأندورا عند امتداد جبال البرانس في شمال شرق البلاد، في حين تقع البرتغال في الغرب، ومع إقليم موراء البحار البريطانية الصغير جبل طارق بالقرب من الطرف الجنوبي. يتواصل انتماء جبل طارق أن يكون مسألة خلافية بين إسبانيا وبريطانيا وكذلك النزاع على بلاثاس دي سوبيرانیاوالتي يطالب بها المغرب.

لديها إسبانيا أيضا مقتلف يود داخل فرنسا يدعى لييفيا

التضاريس

التضاريس في إسبانية شديدة التعقيد، لأن إسبانيا مكونة من نواة هضبية مرتفعة في الوسط، تحيط بها الجبال من ثلاث جهات. ويضاف إلى ذلك احتواؤها الأحواض والمنخفضات والسهول.

الهضبة الوسطى

وتعرف باسم الميزيتا Meseta أو المائدة وتعادل مساحتها نصف مساحة إسبانية تقريباً. وهي أرض مائدية مكونة من صخور قاسية تأثرت في تاريخها الجيولوجي بحركات بناء الجبال، مما أدى إلى تصدعها والتوائها. وتنقسم الهضبة بالسلاسل الوسطى إلى قسمين هما قشتالة القديمة في الشمال الغربي، ويبلغ ارتفاعها المتوسط نحو 800م، وقشتالة الجديدة في الجنوب الشرقي ويبلغ ارتفاعها المتوسط 600م تقريباً، ويصل إلى ما بين 250 و400م في إكستريمادورا قرب الحدود البرتغالية، أما السلسلة الوسطى فيكون ارتفاعها الوسطي بحدود 2000م في حين تصل أعلى قممها إلى 2592م في قمة المنظور Pico de Almanzor. وهي مكونة من سلاسل جبلية قصيرة وصعبة العبور مثل سلاسل گاتا وگريدوس Gredos و وادي الرامة Guadarrama، وتندمج باتجاه الشمال الشرقي مع السلسلة الإيبيرية Cordillera Iberico، وباتجاه الشرق مع السلاسل التي تكون الحافة الشرقية للهضبة كسلسلة البراثن Sierra de Albarracin.

السلاسل الجبلية

وتحيط بالهضبة من ثلاث جهات هي الشمال والشرق والجنوب الشرقي، وفيها المرتفعات الشمالية والمرتفعات الشرقية والجنوبية الشرقية.

تضم المرتفعات الشمالية في الغرب مرتفعات غاليسية (جيليقية) Gallicia. وهي هضبة مؤلفة من الصخور القاسية القديمة، ونادراً ما تنخفض عن 900م، في حين تصل إلى أكثر من 2500م في بعض الأماكن. وتصل هذه المرتفعات إلى الساحل مكونة أودية ريا Ria وهي طويلة متشعبة يتوغل بعضها أكثر من 30كم ضمن اليابسة. وإلى الشرق من هذه الهضبة ترتفع السلاسل الكانتابرية Cantabrica التي تمتد على أكثر من 250كم من الغرب إلى الشرق بعرض يصل إلى 80كم تقريباً. وتتكون هذه السلاسل من نواة من الصخور البلورية القديمة المغطاة بالرسوبات في الشرق والمكشوفة على السطح في الغرب. ويصل ارتفاع أعلى قممها إلى 2648م في قمة أوربا Picos de Europa في حين يكون وسطي ارتفاعها بين 1500 و2100م. أما الكتلة الأخيرة باتجاه الشرق فهي جبال البيرينه المكونة من نواة صخرية بلورية محفوفة بصخور كلسية ذات عمر أحدث. وتتجه هذه السلسلة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بطول يصل إلى 400كم، في حين يكون أقصى عرض لها بحدود 130كم. وتكون سفوح هذه السلسلة غير متناظرة، فهي شديدة الانحدار على الجانب الفرنسي وضعيفة على الجانب الإسباني. وهي سلسلة مرتفعة لا يقل ارتفاع أخفض نقاطها عن 1500م، في حين تصل أعلى نقاطها إلى 3404م في قمة أنتو Pico de Aneto.

أما المرتفعات الشرقية والجنوبية الشرقية فتشتمل في الشمال الشرقي على جبال قطلونية الساحلية المنخفضة الضيقة التي يخترقها نهر الإبرو بوادٍ ضيقٍ قبل وصوله دلتاه. ويكون ارتفاعها قليلاً، إذ نادراً ما يصل إلى 1500م. أما المرتفعات الجنوبية الشرقية فتشتمل على الطيات الألبية لسلاسل الجبال الأندلسية الممتدة مسافة 580كم تقريباً، من جبل طارق في الجنوب الغربي إلى رأس ناو Nao في الشمال الشرقي. وتنقسم هذه المرتفعات إلى نطاقين متوازيين يحصران بينهما منخفضاً طولياً. ويكون النطاق الجنوبي أكثر ارتفاعاً ومظهره شديد الوعورة، ويصل ارتفاع أعلى نقاطه إلى 3482م في سييرا نيفادا، وهي أعلى قمة في إسبانية. أما النطاق الشمالي فيتكوّن من الصخور الرسوبية الحديثة ونادراً ما يرتفع فوق 1200م. وتختفي هذه السلاسل بعد رأس ناو تحت البحر ثم تعود وتظهر في جزر الباليار. ويفصل مجرى نهر الوادي الكبير بينها وبين المرتفعات الواقعة شمالي الوادي والمعروفة بسييرامورينا ، وهي مجزأة ذات قمم مسطحة، تنحدر سفوحها بشدة على الوادي الكبير ولا تزيد ارتفاعاتها على 1200م أيضاً.

الأحواض والمنخفضات والسهول

تكثر الأحواض والمنخفضات في إسبانيا، إلا أن أهمها حوض الإبرو وحوض الوادي الكبير والسهول.

وحوض الإبرو هو الأكبر في إسبانيا، إذ تبلغ مساحته سدس مساحة البلاد تقريباً. ويقع شمال شرقي الهضبة الوسطى بين السلاسل الكانتابرية والبحر المتوسط، بطول يصل إلى 400كم، وعرض يراوح بين 75- 150كم. ويبلغ وسطي ارتفاع هذا الحوض 500م تقريباً، إلا أن سطحه غير مستوٍ تماماً، بل تبرز فوقه تلال كثيرة مسطحة القمم. ويكون مغلقاً في الشرق بجبال قطلونية الساحلية، لولا فتحة المجرى الأدنى للنهر في الجبال.

ويقع حوض الوادي الكبير في جنوب غرب إسبانيا بواجهة عريضة على المحيط الأطلسي تصل إلى 160كم ثم تضيق إلى 50 كم على مسافة 300كم باتجاه الشمال الشرقي. وتكون أرض هذا الحوض مغطاة بالتوضعات الثلاثية وما يليها، غير أن بروزات كلسية ترى في مناطق قليلة. وباتجاه أعلى النهر من إشبيلية، يصبح النهر محاذيا لسفوح سييرامورينا، في حين تكون التضاريس إلى يسار النهر، أي جنوبيه، مكونة من تلال لطيفة مدورة ومقطعة.

وتحتوي إسبانيا على سهول ساحلية ضيقة في أغلب الأحيان. وقد تنعدم في أحيان أخرى. وأهمها سهول مالقة Malaga وألمرية Almeria ومرسية Murcia وفالنسية Valencia. وهناك سهول مرتفعة تقع في وسط الهضبة أهمها سهول القشتالتين القديمة والجديدة و سهل لامانشة La Mancha. وأخيراً هناك السهول التي تحاذي المجاري المائية وأهمها سهول الإبرو وسهول الوادي الكبير.

المناخ

تقع إسبانيا في النطاق المعتدل من نصف الكرة الشمالي، ويتأثر مناخها بحركة مراكز الضغط الجوي التابعة لحركة الشمس الظاهرية، وبالتيارات البحرية الدافئة في المحيط الأطلسي. وهكذا تكون في مناخ إسبانيا ثلاثة نماذج كما يلي:

نموذج المناخ المحيطي

ويسود في المناطق الشمالية والشمالية الغربية حيث تهب الرياح الغربية الرطبة طوال أيام السنة، وتكون الأمطار موزعة على جميع الفصول، وتصل إلى أكثر من 1000مم سنوياً، وتسقط على شكل ثلوج على المرتفعات. أما درجات الحرارة فتكون معتدلة، إذ يبلغ متوسطها 10 ْ مئوية شتاءً و20 ْ مئوية صيفاً.

نموذج المناخ المتوسطي

ويسود في المناطق الشرقية والجنوبية الشرقية. ويكون الصيف جافاً لسيادة ضغط مرتفع على البحر المتوسط، وعدم إمكان وصول المنخفضات الجوية. أما شتاءً فإن الضغط المرتفع يزحف جنوباً ويتراجع ويصبح البحر المتوسط ممراً للمنخفضات الجوية، وهكذا تهطل الأمطار فيه، كما تهطل في الفصول الانتقالية أيضاً. وتراوح كمية الأمطار في هذه المنطقة بين 400ـ 800مم سنوياً على الشريط الساحلي، وتصل إلى أكثر من 1000مم على المرتفعات في الشمال، وأكثر من 2000مم على المرتفعات في الجنوب. أما درجات الحرارة فتكون معتدلة صيفاً وشتاءً، باستثناء الأحواض والمنخفضات حيث تصبح حارة جداً في الصيف وباردة في الشتاء.

نموذج المناخ القاري

ويسود الهضبة الوسطى، حيث يكون الشتاء طويلاً وبارداً والصيف حاراً جداً. وتظهر في هذه المنطقة التباينات الكبيرة في درجات الحرارة وكميات الأمطار، غير أن هذه الأمطار غير كافية بوجه عام نتيجة ارتفاع معدلات التبخر. وتراوح بين 300ـ 400مم. أما معدلات درجات الحرارة فتكون بين 4 ْ مئوية شتاءً و24 ْ مئوية صيفاً.

أعداد السكان وتوزيعهم

تعدّ إسبانية اليوم بلداً قليل السكان بالمقارنة مع بقية دول أوربا الغربية، إذ وصل عدد سكانها إلى 40.321.143 نسمة في 1998، يتألفون من 73% من الإسبان القشتاليين و18% من القطلونيين و6% من الغاليسيين و2.3% من الباسك وقرابة 500.000 من الغجر وأكثر من 461.364 من الأجانب. وهكذا تكون الكثافة السكانية العامة 78 نسمة في الكم2. غير أن هذه الكثافة لا تكون منتظمة نتيجة اختلاف توزع السكان الناجم عن اختلاف البيئات الطبيعية والموارد الاقتصادية. ففي المناطق الداخلية التي تمثل 69% من مساحة البلاد، يقطن 48% من السكان، يتركز ثلثهم في مدينة مدريد، وبذا تكون الكثافة بحدود 15 نسمة/كم.2 أما في المناطق الهامشية التي تمثل 31% من المساحة، فيقيم 52% من السكان، يتركز 18% منهم في منطقة برشلونة، وعليه تكون الكثافة بحدود 250 نسمة/كم2. وينطبق هذا القول على المناطق الهامشية الشمالية والشمالية الشرقية أكثر مما ينطبق على مناطق الجنوب الشرقي التي تماثل كثافة السكان فيها الكثافة في بعض المناطق الداخلية.

الجغرافية الاقتصادية

تعد إسبانيا بلداً فقيراً إذا قورنت بالدول الصناعية المتقدمة. فقد بلغ معدل الدخل الفردي السنوي 14350دولاراً في 1996. وبهذا يكون رابع أخفض دخل في أوربة الغربية بعد إيرلندة واليونان والبرتغال.

مصادر الكهرباء والطاقة

بلغ إنتاج إسبانية من الكهرباء 82400 مليون كيلو واط. ويتم توليد هذه الكهرباء بنسبة 32% من مصادر مائية و59% من مصادر حرارية و9% من محطات ذرية. وتوجد المراكز الرئيسة لإنتاج الكهرباء المائية في حوض الدورو الأعلى وحوض نهر مينيو.

ولقد أدى التحول من الفحم إلى النفط لإنتاج الطاقة، إلى انخفاض نسبة الطاقة الناتجة عن الفحم إلى 16% فقط والباقي من المصادر المذكورة.

يستخرج الفحم المستخدم من أحواض في شمال غربي البلاد، أما النفط فهو مستورد من أقطار الشرق الأوسط والجزائر على نحو رئيس، ويأتي الغاز من الجزائر أيضاً. أما الطاقة الذرية فتعتمد على المخزون المهم من الأورانيوم في مناطق مختلفة من إسبانيا. وتخطط الحكومة لإنشاء وتشييد محطات ذرية إضافية لإنتاج 22000 مليون كيلو واط في المستقبل القريب.

المواد الخام

تحتوي الأرض الإسبانية، نتيجة تركيبها الجيولوجي المعقد، على الكثير من الفلزات. فهي تأتي في مقدمة دول أوربة الغربية بإنتاج الزئبق ، وتنتج كميات مهمة من النحاس والرصاص والفضة. وإنتاجها من الحديد والتوتياء والبوكسيت متوسط، وتنتج القليل من التنغستين والبوتاس وبعض أكاسيد الأورانيوم.

توجد مكامن فلز الحديد في المناطق الشمالية والشمالية الغربية، إلا أن الفلز من نوعية رديئة، ونسبة الحديد فيه 50% تقريباً. وقد بلغ إنتاج إسبانية من الفلز 8 ملايين طن، أعطت 3400000 طن من الحديد الصافي، وقد زاد الإنتاج على 12.154 مليون طن عام 1996. وهناك خطط لزيادة الإنتاج ليصل إلى ما بين 15- 16 مليون طن من الفلز لتعطي 14 مليون طن من الحديد الصافي. أما مكامن النحاس فتوجد في سييرامورينا قرب الحدود البرتغالية. وقد تضاعف الإنتاج مؤخراً فبلغ 35 ألف طن. وتقع مكامن الفحم بمعظمها في شمال غربي إسبانية، إلا أنه من نوعية رديئة وصعبة الاستخراج. وقد انخفض الإنتاج من 10.200.000 طن في 1965 إلى 6.900.000 طن في 1973، لكنه عاد فارتفع إلى 17.500.000 طن عام 1996. أما إنتاج الرصاص والتوتياء فقد كان مهماً في الماضي وقد تراجع نتيجة أساليب الاستثمار غير الناجعة.

لقد أدى التنقيب عن النفط و الغاز الطبيعي منذ عام 1960 إلى كشف عدد من الحقول. وقد قدر احتياطي البلاد بـ40 مليون طن، في حين بلغ متوسط الإنتاج 1.7 مليون طن في 1985 ـ .1995 وأخيراً لا بد من الإشارة إلى المخزون المهم من الأورانيوم المستخدم في تنفيذ برامج الطاقة الذرية المحلية.

الصناعة

شهدت إسبانيا تحولاً صناعياً كبيراً في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ولاسيما منذ 1960، وقد انعكس ذلك في نسبة العاملين فيها، إذ بلغت 30% في عام 1996، وفي إسهامها في الدخل القومي إذ وصلت إلى 33% في عام 1996

تعد الصناعات الثقيلة ، ولاسيما صناعة الحديد والفولاذ ، أساساً لكثير من الصناعات الأخرى، فقد وصل الإنتاج إلى 12.15مليون طن في عام 1996. وتوجد أهم مراكز هذه الصناعة على الشاطئ الشمالي والشاطئ الشرقي. أما الصناعة الكيمياوية فقد كانت أسرع نمواً منذ عام 1970، وتسهم بأكثر من 11% من قيمة الإنتاج الصناعي منذ عام .1975 وتتركز في برشلونة وعلى طول الشاطئ الشمالي وقرب مصافي تكرير النفط.

وتعد صناعة بناء السفن من الصناعات التقليدية في إسبانية، وتأتي في المرتبة الخامسة في العالم. وقد وصلت طاقة البناء إلى ما حمولته 1.6 مليون طن. وفي إسبانية حوضان لبناء السفن التجارية من حمولة 100 ألف طن وحوضان لبناء السفن من حمولة 200- 250 ألف طن وحوض لبناء ناقلات النفط من حمولة 400 ألف طن. أما الصناعات الهندسية فتشتمل على صناعة السيارات، إذ تأتي إسبانية في المرتبة الخامسة في أوربا، ويكفي الإنتاج للسوق المحلية ويزيد فائض للتصدير، وقد بلغ الإنتاج 2.226.000 سيارة في عام 1996، صُدِّر منها 7%. وتتوضع مصانع السيارات في مدريد وبرشلونة وإشبيلية وبلد الوليد. وتشتمل كذلك على صناعة الحفارات والمضخات و محركات الديزل و العنفات البخارية والجرارات وماكينات النسيج وأجهزة صنع الأحذية. وتسهم الصناعات الهندسية بنسبة 24% من قيمة الإنتاج الصناعي منذ عام 1975. أما الصناعات النسيجية وصناعة الألبسة فقد أسهمت بنسبة 16% من قيمة الإنتاج الصناعي، وتتركز هذه الصناعة في برشلونة على نحو أساسي. وأخيراً هناك الصناعات الغذائية التي تشمل صناعة التعليب وحفظ الأطعمة وصناعة الخمور والمشروبات.

الزراعة والتحريج والصيد

وصلت نسبة الأرض المزروعة في إسبانيا في عام 1990 إلى 41% من المساحة العامة وعمل بها 9% من السكان العاملين وقدمت 14% من مجموع الدخل القومي لعام .1996 وتواجه الزراعة عقبات تعود لأسباب طبيعية وأخرى اجتماعية بشرية.

أما العقبات الطبيعية فتتمثل في قلة الأمطار وعدم انتظامها وارتفاع درجات الحرارة صيفاً. في حين تتمثل العقبات الاجتماعية البشرية في تباين حجوم الملكيات الزراعية وقلة رؤوس الأموال وعجز أعمال التسويق. وتحاول الحكومة الإسبانية تلافي هذه السلبيات، فقد نفذت مشروعات حماية التربة والري وبناء السدود. فبنت أكثر من 250 سداً منذ عام 1940، ووفرت الري لأكثر من 2.4 مليون هكتار من أصل 21 مليون هكتار من الأراضي الزراعية. وتهدف الخطط إلى زيادة هذا الرقم إلى 3.8 مليون هكتار تقريباً. ونفذت منذ عام 1954 دمج أكثر من 4.1 مليون هكتار من الأراضي الزراعية فأصبح متوسط حجم الملكية 8 هكتارات.

وتعدّ الحبوب أهم المحصولات الزراعية في إسبانيا، فقد شغلت 50% تقريباً من الأرض المزروعة أنتجت 19.185 مليون طن من الحبوب عام 1997. ويأتي القمح في مقدمتها إذ شغل نصف هذه المساحة. وقد ارتفع الإنتاج إلى 4.6 مليون طن. وتتركز زراعته في المناطق الداخلية. أما الشعير فيزرع للعلف، وهكذا تزايد الطلب عليه فارتفع إنتاجه إلى 8.57 مليون طن. ومناطق زراعته ترافق مناطق زراعة القمح. وهناك الذرة التي تزرع للعلف أيضاً، وقد بلغ الإنتاج 4.38 مليون طن. وتزرع في الشمال الغربي أساساً وفي مناطق فالنسية وسرقسطة وغرناطة. أما الأرز فيزرع لتلبية الطلب المحلي وتوفير بعض الصادرات. وقد بلغت المساحة المزروعة 61 ألف هكتار في حين بلغ الإنتاج 760 ألف طن. وهذا من بين أعلى المردودات في العالم إذ بلغ 6000 كغ/هكتار. وتتركز زراعته في مناطق إشبيلية وفالنسية وطرقونة Tarragona.

المجموعة الأخرى من المحصولات هي الخضر. وأهمها البطاطا التي تؤلف الغذاء الأساسي للسكان، والإنتاج ثابت تقريباً، إذ يبلغ 5.3 مليون طن، في حين تبلغ المساحة المزروعة 385 ألف هكتار. وتزرع البطاطا في أنحاء إسبانية المختلفة وخاصة في منطقة غاليسية. والبندورة التي تزرع للتصدير على نحو أساسي، وتحتل المرتبة الرابعة بين الصادرات الزراعية، وقد بلغ الإنتاج 2.5 مليون طن، وهي تزرع في مختلف أنحاء إسبانيا وفي جزرالكناري.

ولمحصولات البحر المتوسط التقليدية أثر حيوي في الاقتصاد الإسباني. وتأتي الحمضيات في مقدمتها، ولاسيما البرتقال، إذ تبلغ المساحة المزروعة 211 ألف هكتار، ويصل الإنتاج إلى 2.5 مليون طن. وتتركز زراعته على الساحل الشرقي في مقاطعتي فالنسية وقشتالة. أما الزيتون، فقد بلغت المساحة المزروعة به مليوني هكتار، أكثر من نصفها في مقاطعة الأندلس. إذ بلغ إنتاجه 411 ألف طن في عام 1996. ثم هناك الكرمة التي تزرع في مختلف مناطق إسبانيا تقريباً. وقد بلغت المساحة المزروعة بها 1.6 مليون هكتار. وأخيراً اللوز الذي يزرع في جزر الباليار ومناطق الساحل الشرقي، والتفاح في الشمال والشمال الغربي.

أما المحصولات الصناعية فأهمها قصب السكر ، وقد وصل الإنتاج إلى 6.3 مليون طن، ثم القطن، فالقنب، فالتبغ الذي يزرع بكميات قليلة.

وتحتل إسبانيا مركزاً متقدماً بين دول أوربا الغربية في الثروة الحيوانية، إذ تمتلك 4،4 مليون رأس من البقر و15.7 مليون رأس من الغنم و2،2 مليون رأس من الماعز و8.5 مليون خنزير و262 ألف حصان. وتتركز تربية الأبقار في المناطق الشمالية، أما الأغنام ففي المناطق الوسطى. وقد أسهمت صادرات الثروة الحيوانية بأكثر من 50% من القيمة الكلية للمنتجات الزراعية والحيوانية.

يتكون إنتاج الغابات والأحراج في إسبانية من أخشاب الصنوبر والفلين والراتنج على نحو رئيسي، مع كميات جيدة من أخشاب الزان والسنديان. فهي تنتج خمس إنتاج العالم من الفلين. في حين وصل إنتاجها الكلي من الأخشاب إلى 6.8 مليون م3. ويأتي معظم هذا الإنتاج من المناطق الشمالية ومن مقاطعة اكستريمادورا في الوسط. أما في مجال الصيد البحري، فإن إسبانيا تحتل المركز الثالث بين دول أوربا الغربية في كميته، إذ بلغت 1.320 مليون طن عام 1995. ويتكون من أسماك التونا والسردين والقشريات خاصة.